

وظائف الرواية

نورة جبران سفر الشهراني¹

ت: 00966508942581 – ايميل: noorhash@hotmail.com

ملخص:

يُشاع كثيرا عن الرواية أنها وسيلة للترفيه فحسب، غير أنها في الحقيقة تُقدم لنا أكثر من ذلك، فهي تجمع ما بين المتعة والفائدة، وبغض النظر عن واقعيته ومدى صلتها بالواقع، إلا أن للحياة فيها معنى خاصا وقد جاء هذا البحث ليتخذ من وظائف الرواية موضوعا له، للكشف عما يمكن للرواية أن تقدمه غير المتعة والتسلية؛ إذ دائما ما يتردد بين بعض المتعلمين والقراء وغيرهم الكثير سؤال وجيه وهو ما الفائدة من الروايات؟ ما الذي يمكن للرواية أن تُقدمه للقارئ أو للروائي أو للمجتمع؟ وقد خلص البحث إلى أن وظيفة الرواية لا تقتصر فقط على المتعة والترفيه؛ إنها أبعد مغزى من ذلك؛ فهي قادرة على إفادة الروائي، والقارئ، والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الرواية، الوظيفة، الروائي، القارئ، المجتمع.

The functions of Novel

Abstract:

It is rumored a lot about the novel that it is only a means of entertainment, but in fact it offers us more than that, as it combines pleasure and benefit, and regardless of its realism and its relevance to reality, life in it has a special meaning. This subject of this research is the functions of the novel , to reveal what the novel can offer other than pleasure and entertainment. As it frequently said among some educated people, readers, and many others as a valid question, what is the benefit of novels? What can the novel offer the reader, the novelist, or society? The research concluded that the function of the novel is not only limited to fun and entertainment; Beyond that, it is capable of benefiting the novelist, the reader, and society.

Keywords: novel, job, novelist, reader, society.

مقدمة

تعد الرواية من أهم الأعمال الإبداعية، كونها تطرح العديد من القضايا التي تشغل فكر الإنسان، من إشكاليات فكرية، واجتماعية، وسياسية، ونفسية. ومن هنا جاء هذا البحث

(1) باحثة دكتوراه بجامعة الملك خالد

موسوما بعنوان (وظائف الرواية) والذي تكمن أهميته في الوقوف على أهم الوظائف التي قد تقدمها الرواية للقارئ، أو الروائي، أو للمجتمعات؛ للكشف عن أهم الفوائد التي تحملها لنا الرواية في طياتها مغلقة بغلاف المتعة والتسلية. محاولا من خلال ذلك الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما هي الرواية؟ ما علاقة الرواية بالمجتمع؟ ما وظائف الرواية؟ وفي إطار الدراسات السابقة لم يقف البحث على دراسة مستقلة تتحدث عن وظائف الرواية، بيد أن هناك بعض الدراسات التي تحدثت عن وظائف الرواية، وهي من ضمن المصادر التي اعتمد عليها هذا البحث. وهي على التوالي:

1- لماذا نكتب؟ عشرون من الكتاب الناجحين يجيبون عن أسئلة الكتابة، تحرير: ميريدث ماران، ترجمة: مجموعة من المترجمين العرب، مراجعة وتحقيق: بثينة العيسى، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، (1436هـ - 2015م). وهي دراسة قامت على عدد من التجارب المترجمة لعدد من الكتاب الذين تحدثوا فيها عن تجاربهم مع الكتابة، وفي طيات هذه التجارب ذُكرت بعض الوظائف التي يمكن للرواية أن تقدمها.

2- تطور الرواية الحديثة. جيسي ماتز. ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي. دار المدى. الطبعة الأولى. (2016م). وهي دراسة قامت على ثمانية فصول: مسبقة بمقدمتين: إحداهما للمترجمة تحدثت فيها عن بعض الوظائف التي من الممكن للرواية أن تُقدمها، وتعد هذه الدراسة بمثابة مقدمة عن أشكال الرواية الحديثة، ومسألة الدوافع، والتقنيات، والمعضلات، والتطور المرتبط بالرواية.

3- الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا. روبرت إيغلستون. ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي. دار المدى. الطبعة الأولى. (2017م). ذُكر في مقدمتها عددا من الوظائف التي تقدمها الرواية وقد أفاد منها البحث كثيرا.

4- لماذا نحن بحاجة إلى القصص، مقالات اختارها وترجمها: عبد الله الزماي، دار الأثر للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الدمام، الطبعة الأولى، (1440هـ - 2019م). وهي دراسة قائمة على مجموعة من المقالات المترجمة تضمنت بعض الوظائف التي يمكن للرواية أن تقدمها.

وقد اقتضى تقسيم البحث إلى: مقدمة، تمهيد تضمن ماهية الرواية وعلاقتها بالمجتمع. وثلاثة أقسام مقسمة بحسب الوظائف المقدمة من الرواية: القسم الأول/ الوظائف المقدمة للروائي. القسم الثاني/ الوظائف المقدمة للقارئ. القسم الثالث/ الوظائف المقدمة للمجتمع. ثم ختم بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات.

التمهيد

حينما يمارس الفرد عملا ما فإنه بهذه الممارسة يؤدي وظيفة أو عدة وظائف، ومن تلك الأعمال العمل الإبداعي باعتباره نشاطا فكريا وجماليا، وتعد الرواية من أكثر الأشكال الإبداعية جاذبية للقارئ يقول إيان وات: يجد "أغلبية القراء خلال القرنين الأخيرين في الرواية،... الشكل الأدبي الذي يحقق رغبتهم في إيجاد صلة وثيقة بين الحياة والفن"⁽¹⁾. وكذا هو الحال في العصر الراهن ف "لا وجود لشكل أدبي يتمتع بالقوة التي تتمتع بها الرواية، إذ إننا نستطيع أن نربط بها بطريقة دقيقة كل الدقة...حوادث حياتنا اليومية، التي لا قيمة لها في الظاهر، والأفكار، والحدس، والأحلام التي هي، ظاهريا، أكثر ما تكون بعدا عن لغتنا اليومية"⁽²⁾.

أولا: ما الرواية؟

الرواية هي شكل من أشكال القص إلا أنها في تركيبها الهيكلي أشد تعقيدا منه، فهي "الشكل الذي به ومن خلاله تطورت أساليب القص تطورا حديثا؛ باستيعابها الحياة الحديثة وبمواكبتها لمتغيرات العصر في المجال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري"⁽³⁾. ويعرفها روجر آلن بأنها "نمط أدبي دائم التحول والتبدل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال"⁽⁴⁾. وفي السياق ذاته يصفها باختين بأنها: "المرونة ذاتها، فهي تقوم على البحث الدائم وعلى مراجعة أشكالها السابقة باستمرار. ولا بد لهذا النمط الأدبي من أن يكون كذلك؛ لأنه إنما يمد جذوره في تلك الأرضية التي تتصل اتصالا مباشرا بمواقع ولادة الواقع"⁽⁵⁾.

(1) ظهور الرواية الإنكليزية: 37

(2) بحوث في الرواية الجديدة: 14.

(3) اتجاهات الرواية العربية الحديثة "في النصف الثاني من القرن العشرين": 7.

(4) الرواية العربية: 7.

(5) الأسلوب الرسمي في الدراسة الأدبية - مقدمة ثقافية للشاعرية السوسولوجية. نقلا عن الرواية العربية: 19.

وعلى ذلك فإن تحديد ماهية الرواية أمر ليس باليسير، يقول الناقد جون كبريس عن إشكالية تعريفها: "للرواية قدرة على امتصاص كل اللغات، والانباء على أية بنية من بنيات الواقع، الاجتماعي أو النفسي؛ لذا يُنظر إليها بوصفها جنسا أدبيا يستحيل تعريفه سيمانطيقيا وجماليا"⁽¹⁾. ولعل أوضح تعريفاتها وأكثرها شيوعا "كتابة نثرية تصور الحياة"⁽²⁾. فهي ذلك الشكل الأدبي الذي "يقوم مقام المرآة للمجتمع، مادتها إنسان في المجتمع وأحداثها نتيجة لصراع الفرد مدفوعا برغباته ومثله - ضد الآخرين، وربما ضد مثلهم أيضا، وينتج عن صراع الإنسان هذا... أن يخرج القارئ بفلسفة ما أو رؤيا عن الإنسانية"⁽³⁾.

وهذا الارتباط بين مفهوم الرواية والمجتمع والحياة البشرية بهذه الكيفية جعل الرواية "ذات طبيعة خاصة، وذات وظائف محددة، جعلها صورة خيالية مركبة من أشخاص وأفعال وأقوال وأفكار، من جنس الأحداث التي تجري في المجتمع وعلى شاكلة الأشخاص الفاعلين فيه، وتعتبر تعبيرا دقيقا وصادقا عن واقع الصراع الإنساني وتكشف عن حقيقته حسب وجهة نظر الكاتب ورؤيته الخاصة، صورة مكتوبة باللغة النثرية المنقاة من اللغة التي يستخدمها الناس في المجتمع والمعبرة في الوقت نفسه عن خطاباتهم ولهجاتهم وأصواتهم"⁽⁴⁾.

ثانيا: علاقة الرواية بالمجتمع

يؤكد الكاتب والمترجم المصري "محمد عبد النبي" مؤلف رواية "رجوع الشيخ" أن "الفن المرتبط بالأدب ليس مرآة تعكس الواقع الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي في أي مجتمع من المجتمعات؛ بل هو شيء يصنع الواقع ويقدمه إلى القارئ بأسلوب يثري ذائقته الأدبية"⁽⁵⁾. ويشير الروائي الجزائري "واسيني الأعرج" مؤلف روايتي "أنثى السراب" و "مملكة الفراشة" إلى أن "وظيفة الروائي عند الكتابة عن المجتمع ليست تصوير هذا المجتمع بشكل مجرد، بل

(1) ماهية الرواية: 16. نقلا عن مقال، الرواية، محاولة في الطوبولوجيا، موسوعة أونيفرساليس (2008م).

(2) دراسات في الرواية العربية: 3.

(3) بين الأدبين "دراسات في الأدب العربي والانجليزي": 12، 13.

(4) دراسات في الرواية العربية: 3.

(5) ندوة عن العلاقة بين الرواية والمجتمع، شارك فيها أربعة من الروائيين العرب والأجانب من بينهم محمد عبد النبي، الشارقة،

(2013م). على الرابط: <https://www.almaghribtoday.net> تاريخ الاسترجاع: 23 رجب 1444هـ.

الكتابة عن القيم، وتحويل المستحيل والمستبعد في المجتمع إلى واقع قابل للتصديق في الرواية⁽¹⁾.

لهذا فالرواية هي الطريقة المثلى لفهم من نحن؟ ما هو الكائن البشري اليوم؟⁽²⁾ لأنها الوسيلة الأكثر إعمالاً للفكر، والأكثر قرباً للروح الإنسانية، وملامسة النزوعات الشخصية. وهي الأقدر على تناول كل الموضوعات التي يمكن أن ترد في بالنا سواء كانت واقعية أم ميتافيزيقية. باختصار نحن نعيش في الروايات أكثر من أي فن آخر، وهي الفن الذي يظل معنا بعد قراءته (وهو ما يعرف بظاهرة ما بعد القراءة)؛ لهذا فالرواية هي الشكل الفني الأكثر عمقا في تأثيره والأكثر توغلا في الحياة الإنسانية⁽³⁾.

قد يتسائل القارئ وما الذي يميز الرواية عن غيرها من الكتابات ككتب التاريخ مثلا؟ خاصة وأن الرواية لا تقدم لنا الواقع، فكل ما تقدمه لنا صورا زائفة للحياة⁽⁴⁾، إنها "تكذب دائما"⁽⁵⁾؟ تتميز الرواية عن غيرها بأنها "ثائرة ضد الحياة متمردة عليها، أما الأنواع الأخرى فعبيد لها لا يفقدون عبوديتهم قط"⁽⁶⁾، أما بما يتعلق بأمر كذب الرواية ف"الرواية في واقع الأمر تكذب - ولا تملك إلا أن تكذب -"⁽⁷⁾؛ لأنها من خلال ذلك "تعبّر عن حقيقة مفزعة لا يمكنها أن تعبر عنه إلا في محجبة ومخبأة، ومنتكرة بأنها ليست كذلك. قد يبدو هذا القول أقرب إلى اللغو. لكن الأمر في الواقع بسيط للغاية، إن الكثير من الأشخاص، أو كلهم تقريبا، ليسوا في حالة رضا عن حالهم، سواء في ذلك الفقراء والأغنياء والأذكفاء والأغبياء والمشاهير والمغمورون، يودون لو أن لهم حياة مختلفة عما هي عليه. فولدت الرواية إشباعا ماكرا لتلك الرغبة. تكتب

(1) ندوة عن العلاقة بين الرواية والمجتمع، شارك فيها أربعة من الروائيين العرب والأجانب من بينهم واسيني الأعرج، الشارقة، (2013م). على الرابط: <https://www.almaghribtoday.net> تاريخ الاسترجاع: 23 رجب 1444هـ.

(2) الرواية العربية ورهان التجديد: 201.

(3) انظر: الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 53، 54، 55.

(4) انظر: لماذا نحن بحاجة إلى القصص: 80.

(5) المرجع السابق: 79.

(6) المرجع السابق: 84.

(7) المرجع السابق: 80.

وتقرأ لتزود البشر بحيوات لم يكتب لهم أن يعيشوها. وفي عمق كل رواية يكمن عنصر الرغبة هذا⁽¹⁾.

إن الرواية حينما تُكتب "لا تُكتب لأجل إعادة سرد الحياة، وإنما لتحويلها بإضافة شيء عليها"⁽²⁾ لتسد بهذه الأكاذيب "فراغات الحياة الناجمة عن عجزها"⁽³⁾ فجميع الروائيين يعيدون "صياغة الواقع بقدر أقل خشونة ووضوحاً ووعياً، فيجملونه أو يقللون منه"⁽⁴⁾.

إنها تتيح لنا فرصة العيش في حياة غير حياتنا الواقعية، فتمنحنا فرصة الحلم بحياة مثالية نصورها ونرسمها كما نريد نحن، لا كما يُفرض علينا، فتكون بذلك عوضت كل منا عما يفنقه. بل قد تمنح البعض منا الأمل على تغيير واقعه إلى ما يحلم به، مما يدفعه ذلك إلى العمل والاجتهاد على تغيير واقعه إلى الأفضل.

وظائف الرواية

تقول: "إيزابيل هوسير" في محاضرة ألقته في دمشق "إن القرن الحالي قد يشهد موت الرواية التي تعد من أهم الأجناس الأدبية؛ نتيجة تراجع الجانب المتخيل فيها لصالح الجانب العقلي والواقعي"⁽⁵⁾. إن مثل هذه العبارات تثير تساؤلاً مهماً، وهو ما الفائدة من الرواية؟ أو الرواية لأجل أي شيء؟⁽⁶⁾، أو ما الوظائف التي تؤديها الرواية؟

وفي سياق الرد على هذا التساؤل يقول "هرمان بروخ": "إن سبب وجود الرواية الوحيد هو استكشاف ما تستطيع الرواية وحدها دون سواها اكتشافه"⁽⁷⁾. ويقول كولن ولسن في السياق ذاته: "إن الرواية قامت بتغيير وعي العالم المتمدن فنحن نقول إن دارون وماركس وفرويد قاموا بتغيير وجه الحضارة الغربي، ولكن تأثير الرواية كان أعظم من تأثير هؤلاء الثلاثة مجتمعين... وبوسع هذا التأثير أن يستمر في المستقبل"⁽⁸⁾ إن بإمكان الرواية أن تقدم العديد من

(1) لماذا نحن بحاجة إلى القصص: 80.

(2) المرجع السابق: 81.

(3) المرجع السابق: 86.

(4) المرجع السابق: 81.

(5) الرياض، عبد الله إبراهيم، جريدة يومية تصدر عن مؤسسة الإمامة الصحفية، العدد/1444، (2008م).

(6) انظر: الرواية العربية ورهان التجديد: 200.

(7) الرياض، مرجع سابق، (2008م).

(8) فن الرواية: 7.

الوظائف التي لا يمكن لأي عمل أدبي أن يقدمها، سواء كانت هذه الوظائف على المستوى الفردي قارئ أو كاتب أو الاثنان معا، أو على المستوى الجمعي.

أولاً: الوظائف المقدمة للروائي

• الرواية أداة تفسير للعالم:

يرى بعض الكتاب في كتابة الروايات أداة تفسير ناجحة للعالم من حولهم كونهم قادرين على الإفصاح بشكل صحيح⁽¹⁾. إنها تتحدث عن الحياة داخل الشخصيات يقول سباستيان جنغر: "أنا مدرك جدا لكوني أكتب لقراء، وأقوم بكل ما أستطيعه لجذبهم، لأجعل كتابتي متاحة وآسرة، وفي الوقت ذاته، أحاول ألا أهتم أبدا بما أعتقد أن الناس سيحبونه. إنني أكتب لنفسي، فأنا أسعى لمعرفة العالم والكتابة سبيلي في هذا الأمر"⁽²⁾. وتقول جودي بيكولت: إنها "طريقة تكشف عن أجوبة لمواقف تحيرني في العالم"⁽³⁾.

• الرواية أداة تفكير للروائي:

يمكن للروائي أن يجعل من روايته "أداة معرفة ومنتعة وتفكير في الحياة والكون وأسرار النفس"⁽⁴⁾ فالرواية تخاطب الإنسان، وتولد لديه الشعور بأن الروائي يتكلم بلسانه، فيعكس أحلامه وطموحاته، ومن خلالها يتمكن القارئ من معرفة نفسه وغيره، يقول عبد الرحمن منيف: "الرواية كما أفهمها وكما أكتبها، أداة جميلة للمعرفة والمتعة. إنها تجعلنا أكثر إدراكا وأكثر إحساسا بكل ما حولنا، وقد نقول لنا، في السياق أشياء عديدة يجدر بنا معرفتها أو تذكرها"⁽⁵⁾.

• الشعور بالرضا التام:

يجد بعض الروائيين في كتابة الروايات وخلق عالمهم وأحلامهم الراحة والرضا يقول ديفيد بالدانتشي: " عندما تأخذ الجمل والقصة في التدفق، تكون الكتابة أفضل من أي مخدر، فهي لا

(1) انظر: لماذا نكتب؟ عشرون من الكتاب الناجحين يجيبون عن أسئلة الكتابة: 112.

(2) المرجع السابق: 145.

(3) المرجع السابق: 259.

(4) الرواية العربية ورهان التجديد: 29.

(5) الكتاب والمنفى: 43.

تجعلك تشعر بالرضا عن نفسك وحسب؛ تشعرك بالرضا عن كل شيء⁽¹⁾. وعلى العكس تماما إذا كان الأمر خلاف ذلك "فعندما تحذف الصفحات، صفحة بعد صفحة، لأنك لا تستطيع أن تكتب الشخصيات بشكل ناجح، بينما تواجه المواعيد النهائية لتسليم مشروعك، فهذا ليس بالشيء المبهج أبدا. ولكن الجلوس هناك لكي تخلق قصة وتحببها - تصبح الكتابة أروع مهنة في العالم"⁽²⁾. ويقول ريك مودي: "أكتب لأنني أثناء الكتابة أكون أفضل مع اللغة، أكثر مما أنا عليه في الواقع. لكي أصلح عجزتي، وأستعيد ثقتي"⁽³⁾.

• الارتباط بعالم آخر:

حين يكتب الروائي فإنه يعيش في بعدين مختلفين؛ العالم الذي يعيش فيه الآن ويستمتع به، والعالم المختلف كلياً الذي يقيم فيه دون أن يعرف به أحد⁽⁴⁾ عالم يجد فيه الروائي سعادته وراحته وهواه تقول جينيفر إيغان "حين أقوم بكتابة نص أدبي، أنسى من أكون ومن أين جئت. أتسلل إلى وضع انهماك مطلق. أهوى شعور ارتباطي بالعالم الآخر"⁽⁵⁾. عالم للروائي فيه مطلق الحرية في خلقه والتحكم فيه والسيطرة عليه سيطرة تامة.

• الرواية وسيلة للاستشفاء:

يمكن للرواية أن تكون وسيلة علاجية فردية لبعض الاضطرابات الذهنية وبخاصة تلك الحالات الإكلينيكية المسماة (الذهان الهوسي - الاكتئابي) المعروفة ب (الاكتئاب ثنائي القطب) تلك الحالات الشائعة والمدمرة لحياة الأفراد، وبخاصة أولئك الأفراد الذين يتمتعون بقدر عال من الذكاء، والتي تتسبب هذه الحالات في إعاقة قدراتهم بطريقة خطيرة للغاية. فقد وثقت بعض الحالات التي تحدث فيها بعض كتاب الرواية عن تجاربهم الخاصة وكيف ساهم انغماسهم في العمل الروائي على تخطي الأطوار الصعبة التي يمرون بها أثناء اضطراباتهم الذهانية المدمرة، وبشكل جيد وقد ذهب بعض الأطباء السايكولوجيين إلى إمكانية اعتماد الكتابة الروائية كوصفة علاجية - في حالات محددة بعينها⁽⁶⁾. وربما يكمن السبب وراء قدرة

(1) لماذا نكتب؟ عشرون من الكتاب الناجحين يجيبون عن أسئلة الكتابة: 43.

(2) المرجع السابق: 43.

(3) المرجع السابق: 209.

(4) المرجع السابق: 57.

(5) المرجع السابق: 57.

(6) انظر: الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 23، 24، 25.

الكتابة الروائية على علاج بعض الاضطرابات الذهانية "في الطقوس الحتمية المقترنة بتلك الفعالية المدعمة بالانضباط والصرامة المعهودة في كل جهد روائي وقد يعمل هذا الأمر على كبح التشويش الخارجي مع الضوضاء البشعة المقترنة به، ودفع الأفراد نحو محض التركيز على سماع أصواتهم الداخلية الثرية والمدفونة تحت غبار الإهمال والتجاهل، الأمر الذي قد يتسبب في تنشيط النواقل العصبية الدماغية... التي تتحكم في الكيمياء الدماغية المكيفة للمزاج البشري وتقلباته وتدفع به نحو آفاق النشوة والإحساس الغامر بالسعادة غير المرتبطة بمؤثرات فيزيائية خارجية"⁽¹⁾.

• الرواية أداة فهم للذات:

يجد بعض الروائيين في الروايات أداة فهم لذواتهم فيكتبون ليسهل عليهم فهم ذواتهم، ويسهل على الآخرين فهمهم يقول آرمستد ما وبين: "أكتب لأشرح نفسي لنفسي. إنها طريقة لفهم كوارثي، لترتيب بعثرة الحياة، لأعيرها الاتساق والمعنى"⁽²⁾. ويقول أيضا: "أحيانا أكتب لأشرح نفسي للآخرين"⁽³⁾. وتقول الكاتبة سوزان أورلين: "الكتابة هي الشيء الوحيد الذي فعلته في حياتي. لا أفكر بها باعتبارها مهنة. إنها باختصار من أكون"⁽⁴⁾.

إن الروائي حينما يكتب قصة ما فإن هذه القصة ترتبط به بشكل أو بآخر، إنه يكتب ليكتشف من يكون، وما الذي يفكر فيه، ليكتشف العالم من حوله، ليصنع عالمه الذي يحلم به، ليواجه مخاوفه. إن الكتابة هي الملجأ الذي يمكن للروائي اللجوء إليه والهروب من الواقع.

الوظائف المقدمة إلى القارئ

• تحقيق المتعة والفائدة للقارئ:

حين تؤدي الرواية وظيفتها تأدية ناجحة فإن صفتي الفائدة والمتعة لا ينبغي أن تتعايشا فقط بل لا بد أن تندمجا اندماجا كليا. ولا بد من التأكيد في هذا السياق على أن المتعة المرادة هنا ليست كإحدى المتع المفضلة بين قائمة طويلة من المتع الممكنة، وإنما هي متعة رفيعة⁽⁵⁾.

(1) تطور الرواية الحديثة: 12.

(2) لماذا نكتب؟ عشرون من الكتاب الناجحين يجيبون عن أسئلة الكتابة: 181.

(3) المرجع السابق: 181.

(4) المرجع السابق: 233.

(5) انظر: نظرية الأدب: 45 - 46.

إن القارئ حينما يقرأ عملاً روائياً لا يمكننا أن نتوقع مضيه في هذا العمل ما لم يبعث ذلك العمل "حالة من النشوة والمتعة (الحسية أو العقلية) فيه، إنما من البديهي أيضاً أن تختلف طبيعة المتعة المتحصلة حسب نوعية القارئ ومزاجه وقدراته العقلية وسماته السايكولوجية: ثمة من يرغب في أعمال ذات حبكة بوليسية مثيرة، أو ذات مخيال ميتافيزيقي، أو ذات تماس مع التطورات العلمية الفيزيائية أو البيولوجية، أو تلك التي تعني بتطور الذكاء الاصطناعي والروبوتات وروايات الخيال العلمي أو تلك الروايات التي تخص بذور الأحلام وتدفعنا لتبني تطلعات جامعة"⁽¹⁾.

إضافة إلى أنه قد يروق القارئ "ما دسي في (بعض الروايات) من شريف الخصال، فيحتذيتها، أو تعجبه كرائم العادات فيطبع نفسه عليها، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ، وإحياء رائع الأساليب، ولعله يكون فيها مبادئ صالحة، وأسس قويمه لمن يريد أن ينشئ قصصاً طويلة على أساس، أو يقيم روايات على بناء"⁽²⁾.

• الرواية سلطة:

باتت الرواية خطاباً "قادراً على ممارسة سلطة يتعذر مراقبتها لأن القراءة تضمن الوحدة والصمت والابتعاد عن العالم الخارجي وتخلق فضاء داخلياً بمنجى من الضغوطات الاجتماعية، داخلة تتوالد بحرية المعتقدات والأفكار والمشاعر"⁽³⁾.
فالقارئ عادة أثناء قراءة الرواية ينسحب "إلى عالمه الداخلي ويخرج نفسه من العائلة والأصدقاء والأنشطة اليومية وكل شيء وكل شخص، حتى لو لبضع ساعات"⁽⁴⁾ هذه العزلة تتيح له بأن "يكون أكثر مرونة وأقل تحيزاً مما هو عليه في الحياة اليومية"⁽⁵⁾.
ومن ثم فإن على الرواية "أن تتمسك بتطوير شكل خطابها الذي يستطيع أن يضع القارئ في مواجهة صامتة تنقل إليه معرفة مجردة عن صفات القوة والاعتقاد"⁽⁶⁾.

(1) الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جداً: 12.

(2) قصص العرب: 5.

(3) الرواية العربية ورهان التجديد: 202-203.

(4) لماذا نحن بحاجة إلى القصص: 29.

(5) المرجع السابق: 31.

(6) المرجع السابق: 203.

• فتح آفاق التفكير البشري:

أصبح وجود الرواية "ضرورة حاسمة للحفاظ على التوازن الرقيق بين روح الإنسان البدائي وبنيته الذهنية والسايكولوجية؛ الأمر الذي وفر لهذا الإنسان الوسيلة والقدرة لتجاوز محدوديات وجوده الفيزيائي والتفكير بآفاق أبعد من مجرد البحث عن متطلبات أمنه الجسدي وحاجاته البيولوجية البدائية. وتوفير المحفزات اللازمة لإدامة شعلة التخيل البشري ودفعها نحو آفاق لم تكتشف بعد ومساعدتنا على تجاوز عوامل الكبح واليأس والإحباط التي يحفل بها عالمنا المعاصر"⁽¹⁾.

• تقديم الخبرات المكثفة للقارئ:

تقوم الرواية غالبا على "حكاية ما، ولكن ما يمنح الرواية "قيمة معرفية تقود لخبرة جمعية منتجة هو تغليف تلك الحكاية بجسم معرفي يعمل على تكثيف الخبرات المتحصلة في الحياة وتقديمها للقارئ بهيئة مقاييس محددة مصاغة في قالب درامي جذاب"⁽²⁾.

• وظيفة السايكولوجية:

إن خلق نوع من (العصف الذهني) لدى القارئ كفيل بإخراجه من "الحالة الروبوتية الرتيبة وبما يعمل على جعل ذهنه قادرا على تحسس عوالم غير معهودة لديه مثلما تعمل فيه أحلام اليقظة الممتدة حين تبعث نوعا من الاسترخاء اللذيذ والنشوة العقلية المصاحبة للكشوفات الذهنية المستحدثة، وقد عبر الروائي الكبير (أرنستو ساباتو) أفضل تعبير عن هذه الحالة عندما كتب في كتابه (الكاتب وكوابيسه) العبارة التالية: لا أحد ينام في العربة التي تنقله من الزنزانة إلى المقصلة، لكننا ننام جميعا من الولادة حتى الموت أو لعلنا لم نستيقظ حقا، وإحدى مهام الأدب العظيم هي إيقاظ الإنسان السائر نحو المقصلة"⁽³⁾.

• الرواية علاج لبعض السلوكيات الخاطئة:

إذا كانت الرواية قد ساعدت بعض كتابها على تخطي الأطوار الصعبة من اضطراباتهم الذهانية المدمرة من خلال انغماسهم في العمل الروائي⁽⁴⁾ فإن بإمكانها أيضا أن تكون علاجاً

(1) الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 9- 10.

(2) المرجع السابق: 10.

(3) الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 16.

(4) انظر: الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 23، 24، 25.

لبعض السلوكيات الخاطئة: كالتدخين، شرب الخمر،... فالرواية لا بد وأن يكون لها أثر على القارئ، وعلى القارئ معرفة هذا التأثير⁽¹⁾. ومدى صلتها وقربها منه ومحاولة استغلال أوقات الفراغ التي تتيح للفرد ممارسة السلوك الخاطيء في قراءة بعض الروايات التي قد تساعده بشكل أو بآخر في معالجه سلوكياته الغير مرغوب فيها. إما عن طريق نقل تجارب أفراد استطاعوا أن يتحولوا من أفراد سلبيين لا قيمة لهم في مجتمعهم إلى أفراد إيجابيين، أو عن طريق التدرج في تقليص كمية ومدة ممارسة هذه السلوكيات الخاطئة واستغلال بقية الوقت في القراءة. فبدلاً من أن تمضي نصف ساعة مثلاً في انهاء كأس من الخمر تُقلل الكمية وتقلص المدة بالتدرج ويستثمر بقية الوقت في الاطلاع والانغماس في القراءة حتى يُقضى على هذا السلوك. فكما أنها "توجد أساليب للعلاج بالموسيقى، وبالترفيه؛ توجد أساليب للعلاج بالقراءة، وذلك من أجل تعديل الميول الخاطئة لدى الإنسان إلى ميول سليمة. فالعلاج بهذه الكيفية من شأنه أن يعمل على تهذيب سلوك الإنسان والارتقاء به لأن يكون عنصراً فاعلاً في خدمة مجتمعة، وذلك بعد تزويده بالمعلومات الكفيلة بتغيير تفكيره وسلوكه الخاطيء"⁽²⁾.

• الرواية محفزاً لـ الدونة الدماغية⁽³⁾:

أكدت الأبحاث المكثفة أن الشغف المنتظم والثابت للرواية سواء كان ذلك الشغف كتابة أو قراءة أو الاثنان معاً، يمكن أن يكون وسيلة ارتقائية جمعية تحفز الدونة الدماغية⁽⁴⁾؛ مما ينتج عن ذلك تراجع في حالات الخرف ومرض الزهايمر، وتردي الملكات العقلية والمزاج النفسي والقدرات الذهنية. فهي تشبه في فعلها العلاجي طائفة من الاهتمامات البشرية التي تقود للارتقاء الجمعي ذاته، مثل: المواظبة على جولات المشي بشكل يومي، الشغف الفلسفي المتواصل⁽⁵⁾.

(1) انظر: لماذا نحن بحاجة إلى القصة: 59 - 60.

(2) العلاج بالقراءة كيف نصنع مجتمعاً قارئاً؟: 127 - 128.

(3) انظر: الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جداً: 26.

(4) مفردة تقنية تشير إلى قدرة الدماغ على تخليق اشتباكات عصبية دماغية جديدة. انظر: المرجع السابق: 26.

(5) انظر: المرجع السابق: 26.

• الثورة على العبودية الرقمية⁽¹⁾:

أصبحنا نعيش اليوم في محيط محاصر بالوسائط الرقمية، تلك الوسائط المحكومة بقيود النظم الرقمية التي تعمل وفق خوارزميات محددة، فكل نص ينتقل إلى أجهزة الحاسوب أو الجوال يتحول فيها الحرف إلى رقم بترميز (01)، سواء كان هذا النص نصاً أدبياً أو غيره⁽²⁾، مما أدى إلى "خفوت القدرات التحليلية والفلسفية والاستعاضة عنها بنوع من القدرة الخوارزمية الأقرب إلى متطلبات التتميط الجمعي التي يستلزمها الارتقاء بمنظومات الذكاء الاصطناعي"⁽³⁾. وينطوي على ذلك مخاطر عدة من أهمها "تراخي النزعة الإنسانية وفقدان التواصل الحي مع الإرث الإنساني في شتى حقوله المعرفية وشيوع نوع مستحدث من العبودية الرقمية التي يسهل توظيفها من قبل الحكومات لخلق نوع من دكتاتوريات رقمية شديدة الوطأة، وفي مواجهة ذلك ستحافظ القراءة المنتظمة للرواية على التراث الإنساني وتعمل على الارتقاء المتواصل في المناطق الدماغية الخاصة بالقدرات التحليلية وتجنب الانكفاء في لجة الخبرات المنمطة"⁽⁴⁾.

ستلعب الرواية في السنوات القادمة دور "الحاضنة المعرفية" التي تزود الأجيال المسحورة بالعالم الرقمي بقدر معقول من تلاوين المعرفة المتجددة، وسيكون بوسع الروائي المتمكن، عبر مقارنة مفردات المعرفة بوسائل ناعمة وسلسة؛ إعادة التوازن بين المعرفة التحليلية والمعرفة الرقمية المهيمنة ليساعد بعمله الإبداعي على تعزيز كفاءة قرائه الشباب في استخدام الطاقات الخلاقة المتاحة للعقل البشري"⁽⁵⁾.

• الرواية وسيطٌ معرفي:

بإمكان الرواية أن تكون وسيطاً معرفياً أكثر من أي وسيط آخر يوفر "المعرفة الهادفة عبر توظيف وسائلها اللامحدودة في المناورة والقدرة على تمرير الأفكار في إطار جمالي مغلف بالمتعة. (فهي) بمثابة جسر يقود القارئ للاطلاع على معرفة تأسست قواعدها الحاكمة في

(1) انظر: المرجع السابق: 19.

(2) انظر: الأدب السعودي: 326.

(3) الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جداً: 19.

(4) المرجع السابق: 19.

(5) المرجع السابق: 20 - 21.

أقل تقدير- وباتت جسماً معرفياً حائزاً على كافة القبول والاعتراف الرسمي والأكاديمي العالمي،...مثل: الهندسة الوراثية وتقنيات الاستساخ الوراثي، أدبيات ما بعد الحداثة، العولمة - بكل أشكالها- وتصنع الهياكل التقليدية للمنظومات السياسية والاقتصادية الحاكمة، العوالم الافتراضية، وإسقاطاتها على البنية السايكولوجية للفرد⁽¹⁾.

• الشعور بالآخرين وفهمهم:

إن قراءة الروايات "تزود الناس بشكل أفضل لمعرفة وفهم الحالات الذهنية الأخرى"⁽²⁾ فهي تمهد الطريق للقارئ "بأن يجرب كيف سيكون الأمر إن كان شخصاً آخر"⁽³⁾. فحينما يتلبس شخصاً آخر لمئات الصفحات، يمكنه أن يقدر مباشرة كيف يبدو الأمر إن كان شخصاً آخر: شخصاً من ثقافة أخرى أو طبقة اجتماعية أخرى أو جنساً آخر⁽⁴⁾. فقد أثبتت الدراسات⁽⁵⁾ "بأن الأفراد الذين غالباً ما يقرؤون الروايات الخيالية لديهم قدرة أكبر على فهم الناس والتعاطف معهم ورؤية العالم من وجهة نظرهم"⁽⁶⁾.

لقراءة الروايات فوائد عظيمة قد لا تتضح على القارئ من أول مرة، أو من أول رواية؛ إلا أنها بالاستمرار تظهر شيئاً فشيئاً. إن الروايات تتيح للقارئ التعرف على العوالم الأخرى وثقافتها. تتقل له التجارب الإنسانية بأنواعها، وكيف استطاع أصحابها خوضها. تحفز الدماغ لديه على إنتاج الأفكار الإبداعية، تساهم في علاج بعض السلوكيات الخاطئة. كل هذا بأسلوب قصصي ممتع يجمع ما بين المتعة والفائدة.

الوظائف المقدمة للمجتمع

• الرواية وسيطاً حاملاً للتعددية الثقافية:

يمكن للروائي أن يوظف الرواية توظيفاً مجتمعياً تحمل في طياتها ثقافات متعددة لمجتمعات متباينة مثل: (روايات الأقليات، وروايات الجماعات المهاجرة في البلدان المستقبلية للمهاجرين)،

(1) الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جداً: 24.

(2) لماذا نحن بحاجة إلى القصص: 17.

(3) المرجع السابق: 10.

(4) انظر: المرجع السابق: 13.

(5) دراسات نشرها راييموند مار عالم النفس بجامعة يورك في كندا والسيدة كيث أوتلي الأستاذة الحاصلة على الأستاذية الفخرية في علم النفس المعرفي بجامعة تورنتو عام (2006م و 2009م).

(6) لماذا نحن بحاجة إلى القصص: 33.

"التي شهدت إعلاء فكرة التسامح والتعددية الثقافية والحفاظ على موروثات الشعوب - بما فيها البدائية - وطقوسها الفلكلورية لما تحمله من خبرات وثقافة ثرية ومكتنزة"⁽¹⁾؛ مما نتج عن ذلك "إشاعة ثقافة التسامح، والانفتاح على الآخر وثقافته...فالتجارب الثقافية الناجحة التي اعتمدها بعض البلدان المتقدمة في ثقافتها الديمقراطية تنبؤنا أن بإمكان الرواية أن تسهم مساهمة فعالة في تكييف الثقافات المحلية ومن ثم الارتقاء بها نحو ثقافة جمعية منفتحة؛ وبهذا يمكن اعتبار الرواية وسيلة من وسائل الهندسة المجتمعية التي يمكنها إعادة التكييف العقلي لقارئها عبر إلقاء الضوء الفاحص على الندوب التاريخية المعيبة وكشفها أمام الجميع بغية تجاوزها والارتقاء عليها، ومن الطبيعي أن تتعاضد قيمة الرواية كوسيط يعزز فكرة التعددية الثقافية في المجتمعات الهشة التي خرجت قريبا من نفق الديكتاتورية والنظم الشمولية"⁽²⁾.

ومن هنا سيكون استخدام الرواية كأداة في تشكيل الهندسة المجتمعية المنفتحة "بمثابة قاطرة تجر وراءها مجموعة كاملة من الاشتغالات الثقافية المتعددة مثل السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا وتاريخ الأقليات ولغاتها الحضارية؛ الأمر الذي سينعكس بصورة إيجابية في تعزيز السلم المجتمعي ونبذ التوجهات المتطرفة القائمة على فكر الاستحواذ والتهميش ومركزة المال والسلطة"⁽³⁾.

• التبشير برؤية وجودية خلاصية للبشر:

كل رواية - مهما كان موضوعها- تسعى (لنتناول جانب من الجوانب الوجودية المحاثية للحالة البشرية التي تتسم عادة بقدر من النزعة المأساوية (الولادة، الموت، الشيخوخة، الحب، الفراق، الحرب، تلوث، البيئة، اللامساواة، القسوة، التعصب...)) وسيكون بوسع الرواية أن تشكل نوعا من ترياق مضاد يمثل رؤية خلاصية إزاء المحن التي تنطوي عليها الحياة البشرية⁽⁴⁾. فهي بمثابة الطاقة التي "تسعفنا على الاستمرار في الحياة؛ لأنها تضئ مسرح الظلام المخيف الذي

(1) تطور الرواية الحديثة: 22 - 23.

(2) الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 21.

(3) المرجع السابق: 22.

(4) المرجع السابق: 22.

نتخبط داخله. هي الطوبى المتبقية لنا بعد أن انهارت الأحلام والإيديولوجيات. إنها بمثابة دين لأنها تعدنا بحياة خالدة تعلق على ما هو فان⁽¹⁾.

• إعادة المضمون والقوة للتجربة البشرية:

تأتي الرواية من أجل "إعادة المضمون والقوة لموضوعة "التجربة البشرية" التي يُلخص اختفاؤها جزءا كبيرا من مشكلات الرواية رهننا. لتكن الرواية، ...وهو دوامه. الرواية هي ضد إغراءات التسلية الخالصة والبلادة المنتصرة للمعرفة السطحية أو لتخييل ذاتي لا يفتح على الكوني وعلى الإحساس بثقل التاريخ والذاكرة"⁽²⁾.

• الرواية أداة بحثية:

يمكن للرواية أن تكون أداة بحثية تعمل على المستوى الجمعي كأحد البدائل المقبولة لخفوت الشغف الاستقصائي لدى الفرد المعاصر في دوامة حضارتنا الرقمية المتصاعدة، فتكون مجسدا استقصائيا في ثنايا معرفة لم تتشكل بعد ولم تزل في طور التأسيس وتوطيد الأركان الراسخة. محاولة الإجابة عن سؤال افتراضي يبدأ بعبارة (ماذا لو...؟) ماذا لو أن الروبوتات كسرت قواعد (أسيموف) الثلاثة وعُقد لها لواء الهيمنة على الوضع البشري؟ ماذا لو ألغيت سلطة كافة المرجعيات الحاكمة (أب، أم، منزل، حكومة، مجتمع، كيانات مؤسسية...)) وبات الفرد يحتكم لمرجعياته الذاتية المطلقة؟ وبهذا تتعزز القدرة البشرية والشغف الفردي في كافة مجالات النشاط الإنساني والمعرفة الإنسانية بشكل عام⁽³⁾.

• الرواية وسيلة لتعزيز الرصيد الميتافيزيقي للبشر:

إن الفرد المبدع، يسعى دائما إلى تجاوز المحدودات الذهنية والفيزيائية المطروحة أمامه بطريقة خلاقية ويرى دائما إن "الثراء الميتافيزيقي غير المنظور لهم أهم بكثير من الحقائق الصلبة على الأرض، ويوظف في سعيه هذا عددا من الوسائل يأتي في مقدمتها: تعزيز رصيد الرؤية الميتافيزيقية لديه؛ باعتبارها أثنى وأعلى مقاما من الحقائق والنظريات الراسخة (بما فيها العلمية أيضا)، والنظر إلى الحياة البشرية على أنها شبه حلم يقظة لذيذ يعمل على شحن

(1) الرواية العربية ورهان التجديد: 204.

(2) المرجع السابق: 204.

(3) انظر: الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 23، 24، 25.

طاقات الإنسان الخلاقة ويدفعها باتجاه تحقيق مفردات الرؤية الميتافيزيقية (أو بعضها على الأقل)⁽¹⁾. لهذا فمن الطبيعي أن يلجأ الفرد المبدع إلى استخدام وسائل مختلفة لتحقيق مراده مثل: استخدام الإرث الفلسفي الإنساني، ومحاولة الانفتاح على تجارب روحانية شبيهة بالتجارب العرفانية المعززة بالرؤى والكشوفات الذاتية؛ إلا أن الخوض في تجارب عرفانية قد لا يكون متاحا للكثيرين بسبب وجود بعض المعوقات؛ ومن هنا تأتي الرواية كبديل عن الرؤية الفلسفية والتجارب العرفانية في استمرارية حيوية الفضاء الميتافيزيقي، الذي يمكن الأفراد سواء كانوا قارئون للرواية أو مبدعون من الإبحار في عوالم متخيلة، والانفكاك عن الواقع واشتراطاته⁽²⁾.

• وظيفة الرواية أداة فعالة لتحقيق السلام العالمي:

إن غياب فرص التعايش مع الآخر وشيوع الإرهاب الدولي القائم على إثارة الرعب والفرع أحد أسبابهما سوء فهم الآخر وعدم الانفتاح على ثقافته الخاصة، إلا أن بعض الفعاليات الثقافية المشاعة مثل: الرواية السائدة في الجغرافيات الموصوفة بالهوامش الثقافية، استطاعت أن تبرهن على تعزيز المعرفة بالآخر على الصعيد العالمي، ونشر السلام النسبي، والتخفيف من حدة التوترات العالمية، وكسر الغلواء الكولونيالية لدى الشعوب المنتمية لفضاء الثقافتين الأنكلوساكسونية والفرانكوفونية مثل: الرواية الأفريقية والآسيوية وغيرها من الروايات التي تحمل شعلة الثقافات السائدة في تلك العوالم⁽³⁾.

• نقد المحرمات: الجنس والدين والسياسة:

أسهمت الرواية العربية في إضاءة المناطق الحساسة (الجنس، الدين، السياسة) والتي يحاول المالكون للسلطة على إيهام الناس بأنها خاضعة للتقاليد والتعاليم الموروثة، وتستجيب لمقتضيات الأخلاق الجماعية، لكن الرواية التي تعرف كيف تندس بين كتلة الواقع الظاهر، وثنايا شروخ الذات؛ تمكنت من أن تتغلغل إلى هذه المناطق المحرمة، وإبراز التناقضات بين

(1) انظر: الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 27.

(2) انظر: المرجع السابق: 28.

(3) انظر: المرجع السابق: 28.

المعلن عنه المعتمد على اللغة الأمرة، والمسكوت عنه، المهمش الضارب بجذوره في أعماق المعيش؛ مما جعل الأفراد ينجذبون إلى إعادة تحديد العلاقة بهذه المناطق الحساسة (1).

• نشر المعرفة:

لقد كان من أهم الوظائف التي تقوم بها الرواية نشر المعرفة بين أفراد المجتمع، وتعميق الوعي الوطني والتاريخي، واتخاذ الكتابة وسيلة للتنفيس ومقاومة الخطاب الرسمي ذي اللغة الرسمية، في سبيل الوصول إلى عوالم تتيج للذات المقموعة أن تعبر عن أعماقها والمكبوت داخلها، فقد أصبحت مثلا: الكتابة الروائية الذاتية، والاجتماعية المنفلتة وسيلة للتنفيس عند أجيال واسعة من الشبان والشابات على امتداد المجتمعات العربية (2).

• حفظ التاريخ وتحقيق الترابط بين أفراد المجتمع:

لقد كانت القصة ولا زالت ذات الشأن الأسمى في آداب الأمم قديمها وحديثها، إذ نجحت نجاحا باهرا في تصوير العصور التي وضعت فيها، ورسم البيئة التي نشأت منها، مقدمة من خلال ذلك عرضا شاملا لحياة الأمة (3). لهذا "يمكن للمؤرخ أن يستخدمها كوثيقة اجتماعية" (4).

بالإضافة إلى الدور البارز الذي تؤديه بين أبناء الشعب الواحد فلقد أصبحت "لدى كثير من الشعوب الحية وسيلة فعالة للترابط الروحي بين أبناء الشعب الواحد وصار محفزا فعالا للنظر في موروث إنساني مشترك تتأسس عليه فكرة المواطنة والانتماء المحلي والإنساني، كتب الشاعر والكاتب المكسيكي أو كتافيو باث يوما ما معناه: تتمنى كل شعوب العالم أن تمتلك تاريخا حضاريا ممتدا في الزمن وأن تكون لديها أساطير وملاحم ترويهما لأجيالها؛ ولو لم تمتلك المكسيك ذلك التاريخ وتلك الأساطير لكان علينا أن نخلق بعضها لنحيا على ركيزة نجتمع حولها" (5).

(1) انظر: الرواية العربية ورهان التجديد: 60-110

(2) انظر: المرجع السابق: 109-110.

(3) انظر: قصص العرب: 1/4.

(4) نظرية الأدب: 46.

(5) الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا: 9-10.

وعلى ذلك فإن "الروائي المطالب دوماً بالمغامرة والتجديد لا يستطيع أن ينسى بأن نصوصه هي - في نهاية التحليل - بحث عن معنى التاريخ أو لا معناه، وعن تحولات الفرد وسط سديم يوجبه العنف وطغيان الأقوياء؛ وفي الآن نفسه تعتبر نصوصه تشخيصاً لهذا التاريخ من خلال تجربة الروائي ورؤيته إلى الحياة"⁽¹⁾.

• تجاوز المرجعيات الثقافية الراكزة:

تتميز الرواية عن غيرها من الفنون الكتابية الإبداعية بسمة هيكلية (تجعل من الرواية ذلك النشاط الإبداعي الأكثر قدرة عن التعبير عن متغيرات العصر واندفاعاته الارتقائية والتطورية، ولما كانت هذه المتغيرات سريعة ومتنوعة وعلى شتى الصعد لذا صار مطلوباً ومتوقفاً من الرواية أن تعيد النظر في طبيعتها وموضوعاتها ولا تركز إلى أية مرجعية ثقافية راسخة. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الميل الروائي لتجاوز المرجعيات الثقافية يتعاضد في الأوقات التي لا تعود فيها تلك المرجعيات كافية لاحتواء المتغيرات الحاصلة في الحياة البشرية؛ ومن هنا سيكون تجاوز تلك المرجعيات ضرورة ارتقائية لازمة لتطوير الفن الروائي وتثوير أدواته وإمكانياته في التعامل مع المستجدات البشرية)⁽²⁾.

• تجريد البشر من طبقات الهويات الجماعية:

تعتمد الرواية بشكل كبير على "العزلة بحيث يكون الروائي عند تأليف الرواية منعزلاً تماماً مثلما يكون القارئ حين يقرأها فنحن نلتقي في تلك النقطة من الفردية والانطوائية البحتة، حيث لا وجود للهويات الجماعية، حتى ولو لبضع ساعات أو بضع أيام فقط، ربما يبدو أن الروايات تأخذنا في رحلات حول العالم، لكنها في الحقيقة تأخذنا في رحلة داخل الذات، حينما نتقص شخصية أخرى، ثم أخرى، وبينما نكتشف الغرباء والأجانب نتعرف على أنفسنا، وهنا تبدأ الفئات تقعد حدودها"⁽³⁾. إذ "لا يمكن أن يتقيد فن السرد العالمي والقديم بحدود قومية أو دينية أو طبقية أو عرقية"⁽⁴⁾ ففي عالم "الخيال لا وجود ليونانيين أو أتراك أو مسلمون أو يهود، بل ينصب تركيزنا الأساسي على الكون الصغير للكائن البشري وبمجرد أن نجرد البشر من

(1) الرواية العربية ورهان التجديد: 204.

(2) الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جداً: 11.

(3) لماذا نحن بحاجة إلى القصص: 26.

(4) المرجع السابق: 26.

طبقات سياسات الهوية يصبح من السهل أن نفهم النفس البشرية⁽¹⁾. فالخيال هو "نوع من المحاكاة ليست تلك التي تجري على أجهزة الحاسب الآلي بل على العقول: محاكاة الأنفس في تفاعلاتها مع الآخرين في العالم الاجتماعي مبنيًا على الخبرة والتجربة، كما أنها تشمل كونها قادرة على التفكير في مستقبل يسهل تحقيقه"⁽²⁾.

• فتح آفاق جديدة أمام الخيال الإنساني:

تشبه الرواية بآلة (إينغما) التي استخدمت في فك شفرة الحرب الألمانية⁽³⁾، وهو تشبيه موفق فقد باتت الرواية اليوم "تكشف شفرات الحاضر الملتبسة وتعمل على تلمس آفاق المستقبل وبخاصة على صعيدي الوعي البشري، والسايكولوجيا الإنسانية، وما يترتب على تطورهما من تشكلات جديدة في العلاقات بين الكائنات البشرية، وبين البشر والبيئة، وحتى في العلاقات بين الكائنات غير البشرية مع بعضها ومع الكائنات البشرية معا"⁽⁴⁾.

• الرواية لعبة ذهنية:

تعمل الرواية "على إشاعة نوع منعش من الحيوية الذهنية... إذا ما نظرنا إليها كنوع من ألعاب ذهنية ترتقي بالفعاليات العقلية المعروفة، ولا غرابة أن تقترن الأعمال الروائية العظيمة بالمجتمعات التي حققت أعلى درجات الإنجاز العلمي والتقني والاقتصادي والسياسي"⁽⁵⁾.

• الرواية حنين نوستالجي إلى الاكتمال:

لم تستقر الرواية طيلة مسيرتها وتحولاتها عند شكل معين، بل بقيت "منبعثة من رمادها بلوبوسات وتشكلات متعددة. ولعلها ماتت أكثر من مرة، إلا أنها سرعان ما تعاود الانبعاث، يحدوها الأمل في الاقتراب من الاكتمال على شاكلة الإنسان المجبول ناقصا والمتطلع دوما إلى الكمال"⁽⁶⁾.

(1) لماذا نحن بحاجة إلى القصص: 26.

(2) المرجع السابق: 64.

(3) انظر: تطور الرواية الحديثة: 12.

(4) المرجع السابق: 13.

(5) المرجع السابق: 9 - 10.

(6) الرواية العربية ورهان التجديد: 204.

• الرواية سر بقاء المجتمعات:

تعد الرواية عامل من عوامل بقاء المجتمعات فلكل مجتمع "صعوباته ومشاكله ومتناقضاته التي لا يمكن أن تُحل مباشرة، في الحقيقة؛ ولكن لا مفر من تسكينها وتهديتها على الصعيد الخيالي، وهي بحاجة إلى شرح. وعندما تكون هذه الشروحات الضرورية في نظرنا أسطورية بحته، لا تعود تشفي غليلنا وندعوها عندئذ خرافات، وهي قصص مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببعض مظاهر هذا المجتمع، وهي ضرورية لسيره، وتسمح له بالبقاء. وإذا حدث أن نُسيت هذه القصص أو تشوهت، فإن المجتمع نفسه ينحل"⁽¹⁾ فهي بمثابة "أداة سياسية واجتماعية هامة تعبر عن روح المجتمع ومشكلاته وقضاياها الأساسية...ولها أدوار عديدة في المجتمع الحديث كدور الكاهن، ودور المشرف السياسي، ودور المعلم، ودور الصحفي...وفي القرن العشرين شهدت الرواية أوج ازدهارها، وزاد تعمقها في الضمير الإنساني، وارتباطها الشديد بالمجتمع، فالأديب الروائي أصبح اليوم لا يقل أهمية عن عالم الاجتماع في تصوير الواقع الاجتماعي والتنبؤ بالمستقبل"⁽²⁾. ولهذا يجب أن تعطى هذه القصص والروايات أهمية بالغة، "ويجب أن يتفق الجميع عليها، إنها ناحية من الكلام لا مندوحة من بقائها راسخة متينة"⁽³⁾.

• الرواية والاقتصاد:

أدت الروايات دوراً هاماً عبر العصور المختلفة في نقل صور الواقع الاقتصادي لمختلف المجتمعات "وفتحت نوافذاً عديدة على الحياة الاقتصادية، كما قدمت تصورات مهمة ودقيقة عن النظرية الاقتصادية في العمل والإنتاج والنظم النقدية وغيرها"⁽⁴⁾ كما أنها كانت تنقل لنا "تجارب الناس المتعلقة بالسلع والأسواق، بالإضافة إلى أدوارهم كمستهلكين وعمال ومنتجين، خصوصاً في الأزمنة التي لم تكن فيها البيانات الإحصائية متوفرة"⁽⁵⁾. ومن تلك الروايات: رواية "تاجر البنديقية" لـ "وليام شكسبير" والتي تعد "مدخلاً مهماً لفهم جذور النظام المالي

(1) بحوث في الرواية الجديدة: 29.

(2) علم اجتماع الأدب "النظرية والمنهج والموضوع": 274.

(3) بحوث في الرواية الجديدة: 29.

(4) الاقتصاد والأدب. كيف نفهم الاقتصاد عن طريق الروايات، لحو بوخاري، الجزيرة، (2018م)، على الرابط:

<https://www.aljazeera.net> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445 هـ.

(5) المرجع السابق. على الرابط: <https://www.aljazeera.net> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445 هـ.

العالمي الراهن والقائم على الديون والفائدة، وتساعد على بلورة نظرة تاريخية وفلسفية شاملة حول آليات الإقراض والاقتراض كما تعكسها المشاكل الاقتصادية في العصور الوسطى⁽¹⁾. بل قد تعد الرواية معينة لبعض الاقتصاديين في دراسة الاقتصاد فالاقتصادي "توماس بيكيتي" مثلاً: استعان في كتابه "رأس المال في القرن الحادي والعشرين" برواية "غوريو" للروائي "بالزك" لدراسة اللامساواة في الدخل من العمل، واللامساواة في ملكية رأس المال والدخل الذي تولده في مجتمعات الثورة الصناعية⁽²⁾ والتي استطاع من خلالها صاحبها أن يقدم "صورة واضحة عن تقسيمات الواحد في المئة، والعشرة في المئة الأعلى من سلم الدخل بصورة دقيقة دون الحاجة لإحصاءات لإثبات ذلك، وإيصال صورة واضحة ودقيقة عن الاستراتيجية الناجحة لل صعود الاجتماعي في المجتمع الفرنسي خلال القرن التاسع عشر"⁽³⁾.

• الرواية واستشراف المستقبل:

جبلت النفس البشرية على التطلع للمستقبل والتنبؤ⁽⁴⁾ به، والذي يعد الوعي به "واستشراف آفاقه، وفهم تحدياته من المقومات الرئيسية في صناعة النجاح للمجتمعات... فلا يمكن أن يستمر النجاح مالم يتم امتلاك رؤية واضحة لمعالم المستقبل، وخاصة في العصر الحالي، وقد تزايد الاهتمام باستشراف المستقبل، وخاصة في العصر الحالي، نتيجة للتطورات الهائلة والمتسارعة في شتى مناهج الحياة، والتوجه لملاحقة تلك التطورات ومواكبتها"⁽⁵⁾. فما دور الرواية في استشراف المستقبل؟ يقول الدكتور سعد البازعي: "إذا استثنينا الأعمال التي تتوجه إلى المستقبل بتوقعات معينة مثل: الاكتشاف، فإن الأدب الجاد كله، والسردى بشكل خاص،

(1) الاقتصاد والأدب. مرجع سابق. على الرابط: <https://www.aljazeera.net> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445هـ.

(2) المرجع السابق. على الرابط: <https://www.aljazeera.net> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445هـ.

(3) المرجع السابق: على الرابط: <https://www.aljazeera.net> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445هـ.

(4) المقصود بالتنبؤ هنا التنبؤ العلمي لا التنبؤ الغيبي التنبؤ المبني على دراسة الظواهر الطبيعية، والنواميس الكونية، والشرائح البيولوجية، ثم جمعها في حصيللة علمية هائلة، ثم صياغتها في معادلات ونظريات وقوانين ترشد إلى توقعات وحقائق لا تستوعبها الحواس البشرية؛ لأنها تقع فيما وراء حدودها. انظر: التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان: 13.

(5) استشراف المستقبل وصناعته "ما قبل التخطيط الاستراتيجي... استعداد ذكي: 18.

استكشاف للمستقبل حتى وإن لم يبين عن ذلك بشكل مباشر، فهو إما رؤية لواقع يجب تغييره، أو قادم نتطلع إليه، والأدب الهش هو الذي يفتقر إلى تلك الرؤية أو يطرحها بمباشرة هشة⁽¹⁾. فالأدب الروائي مليء بالقصص المتضمنة أحداثاً للمستقبل، فروايات الخيال العلمي مثلاً: نهض على حدث رئيس يدور حول التنبؤ بنتائج الظواهر العلمية في حياة البشر، وقد تجلى لقراء الرواية صحة تنبؤات عديد من هذه الروايات، تلك الروايات التي هيأت مداركهم لتقبلها، وعدم التفاجؤ بوقوعها⁽²⁾ كرواية "عالم جديد شجاع" لـ "ألدوس هكسلي" الصادرة عام (1932م) والتي تنبأت بما سيخسرهُ الإنسان كلما تطورت التكنولوجيا، ورواية "عيون الظلام" لـ "دين كونتيز"، الصادرة عام (1981م) التي تدور أحداثها في مدينة ووهان الصينية، حيث يُطور الخبراء فيروساً خطيراً. ورواية "ثرثرة فوق النيل" لـ "نجيب محفوظ" الصادرة (1966م)، والتي تضمنت تنبؤات تحققت كالتنبؤ بهزيمة (1967م)⁽³⁾.

ومن هنا يتضح أن للروايات دوراً كبيراً في المجتمعات على المستوى الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، لا سيما إذا ما كان لصاحبها القدرة التي تمكنه من تصوير المجتمعات بشكل دقيق فالروايات ما هي إلا أجزاء مركبة من العالم الواقعي حوله الروائي إلى عالم متخيل.

الخاتمة: تجلى مما سبق ما يأتي:

إن الحاجة إلى الرواية حاجة إنسانية وجودية، إذ يمكنها أن تقدم العديد من الوظائف على المستويين: الفردي (القارئ والكاتب)، والجمعي. التي قد لا نجدها في عمل آخر. وعليه يوصي البحث بما يلي:

1- لا تُعد الرواية رواية جيدة بعدد صفحاتها؛ وإنما بما يمكن أن تقدمه لنا فكل رواية نكتب أو نقرأ تربطنا بها علاقة بشكل أو بآخر؛ لهذا فعلى الروائي أن يكون أكثر إتقاناً لصنعتة، والقارئ أكثر انتقائية لما يقرأ.

(1) استشراف المستقبل في الرواية، زكية البلوشي، سيدتي، (2018م)، على الرابط: <https://www.sayidaty.net> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445هـ.

(2) الروايات الاستشرافية وارتداد المستقبل، عبد الإله موسى بن سواد، الجزيرة، على الرابط: <https://www.al-jazirah.com> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445م.

(3) المرجع السابق، على الرابط: <https://www.al-jazirah.com> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445م.

- 2- كلما كان الروائي قادرا على صنع عالمه الروائي؛ كلما كانت أكثر قدرة على التصوير للقارئ والخوض في القضايا المهمة.
- 3- اكتب روايتك أيها الكاتب كما هي، بدون تلميع للقراء بحاجة إلى أن يتعرفوا على العالم كما هو لا كما تريده أنت.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

- آل حمادة، حسن، العلاج بالقراءة كيف نصنع مجتمعا قارئاً؟ أطراف للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. القطيف. ط 3، 1435م.
- ألن، روجر، الرواية العربية. ترجمة: حصة إبراهيم المنيف. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة، 1997م.
- إيغلستون، روبرت. الرواية المعاصرة مقدمة قصيرة جدا. ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي. دار المدى. ط1، 2017م.
- باختين، ميخائيل، الأسلوب الرسمي في الدراسة الأدبية - مقدمة ثقافية للشاعرية السوسولوجية. مطبعة جامعة هوبكنز. بالتيمور. 1978م.
- البدوي، محمد علي، علم اجتماع الأدب "النظرية والمنهج والموضوع". دار المعرفة الجامعية، 2011م.
- برادة، محمد، الرواية العربية ورهان التجديد. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012م.
- بو عزة، الطيب. ماهية الرواية، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان، 2016م.
- بوتور، ميشيل، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس. كتاب الدوحة. وزارة الثقافة والرياضة. قطر، 2019م.
- جاد المولى، محمد أحمد وآخرون، قصص العرب.. دار احياء الكتب العربية. القاهرة. ط4، 1381هـ - 1962م.
- الزماي، عبد الله، لماذا نحن بحاجة إلى القصص، دار الأثر للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. الدمام. ط1، 1440هـ - 2019م.
- صالح، عبد الحسن، التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان. عالم المعرفة. الكويت، 1981م.
- عبد الرحيم، عبد الرحيم محمد، دراسات في الرواية العربية. دار الحقيقة للإعلام الدولي. ط1، 1411هـ - 1990م.

قيسومة، منصور، اتجاهات الرواية العربية الحديثة "في النصف الثاني من القرن العشرين". الدار التونسية للكتاب. الطبعة الأولى. (2013م).

ماتز، جيسي، تطور الرواية الحديثة. ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي. دار المدى. ط1، 2016م.
ماران، ميريدث، لماذا نكتب؟ عشرون من الكتاب الناجحين يجيبون عن أسئلة الكتابة. تحرير:
ترجمة: مجموعة من المترجمين العرب. مراجعة وتحقيق: بثينة العيسى. الدار العربية للعلوم
ناشرون. لبنان. بيروت. ط3، 1436هـ - 2015م.

المحسني، عبد الرحمن وآخرون، الأدب السعودي. تحرير: صالح الغامدي. أبو المعاطي الرمادي.
جامعة الملك سعود. كرسي الأدب السعودي، 1443هـ - 2021م.
منيف، عبد الرحمن، الكتاب والمنفى. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. دار التوزيع للطباعة والنشر،
1994م.

موسى، فاطمة، بين الأدبين "دراسات في الأدب العربي والانجليزي". مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة،
1965م.

الهنداوي، أحمد ذوقان وآخرون، استشراف المستقبل وصناعته "ما قبل التخطيط
الاستراتيجي...استعداد ذكي. قنديل للطباعة والنشر والتوزيع. الإمارات العربية المتحدة. ط1،
1438هـ - 2017م.

وات، أيان. ظهور الرواية الانجليزية. ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز. منشورات دار الجاحظ للنشر.
بغداد. الجمهورية العراقية، 1980م.

ولسون، كولن، فن الرواية. ترجمة: محمد درويش. الدار العربية للعلوم ناشرون. مكتبة بغداد. ط1،
1429هـ - 2008م.

وليك، رنيه، و وآرن، أوستن. نظرية الأدب. تعريب الدكتور: عادل سلامة. دار المريخ للنشر.
الرياض. المملكة العربية السعودية، 1412هـ - 1992م.

المقالات العلمية والمواقع الشبكية:

إبراهيم، عبد الله. الرياض. جريدة يومية تصدر عن مؤسسة الإمامة الصحفية. العدد/1444. 2008م.

البلوشي، زكية ، استشراف المستقبل في الرواية، سيدتي، 2018م، على الرابط:
<https://www.sayidaty.net> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445هـ.

بن سوداء، عبد الإله موسى، الروايات الاستشرافية وارتداد المستقبل، الجزيرة، على الرابط: <https://www.al-jazirah.com> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445م.

بوخاري، حلو. الاقتصاد والأدب. كيف نفهم الاقتصاد عن طريق الروايات. الجزيرة، 2018م. على الرابط: <https://www.aljazeera.net> تاريخ الاسترجاع: 7 ربيع الأول 1445هـ.

ندوة عن العلاقة بين الرواية والمجتمع. شارك فيها أربعة من الروائيين العرب والأجانب من بينهم محمد عبد النبي. الشارقة، 2013م. على الرابط: <https://www.almaghribtoday.net>.

ندوة عن العلاقة بين الرواية والمجتمع. شارك فيها أربعة من الروائيين العرب والأجانب من بينهم واسيني الأعرج. الشارقة، 2013م. على الرابط: <https://www.almaghribtoday.net>.